الأثار الشاخصة لمدينة نـــــيـــــنـــــوى في النصـف الأول من الألــف الأول ق.م.

نينوى هي العاصمة القديمة للدولة الآشورية وتقع اطلالها اليوم قبالة مدينة الموصل شرق نهر دجلة على مسافة ميل عنه ، وهذه التسمية هي الصيغة العبرية لهذا الاسم اما الآشوريين فقد اطلقوا عليها أسم (ني – نو – آ) (Ni- Nu – A) ([1]). تتألف المدينة حاليا من تلين عظيمين اكبرهما تل قوينجق والثاني تل النبي يونس حيث يجري نهر الخوسر بين التلتين في محاذاة تل قوينجق عند سفحه الشرقي ([2]).

هاذان التلان هما كل ما تبقى من مدينة نينوى العظيمة وسورها الضخم الذي كان يطوق المدينة بدائرة قطرها اثنى عشر ميلاً ، ونينوى هي اخر عاصمة للدولة الآشورية قبل سقوطها سنة 612 ق.م . وكل القصور والابنية والمعابد التي بنيت في مدينة نينوى هي الان تحت هاذين التلين ، ويحيط بهما سلسلة من التلال يتجاوز طولها اثنا عشر كيلو متراً متخذة شكل مستطيل شبه منحرف.

اقدم الطبقات السكنية التي تم اكتشافها في مدينة نينوى يعود الى عصور ما قبل التاريخ وبالتحديد في الالفين الرابع والخامس قبل الميلاد واستمر السكن فيها في العصور التاريخية التالية ، وعثر فيها ايضاً على آثار من زمن عصر فجر السلالات وآثار من العصر الاكدي وعصر سلالة اور الثالثة واصبحت مدينة نينوى ذات مركز مرموق منذ عام 1080 ق.م عندما اتخذها تجلاتبليزر الاول(1115-1077ق.م) عاصمة لمملكته ([3]).

بعد مقتل سرجون(721-705 ق.م) استلم ابنه سنحاريب (705-681ق.م) العرش وهذا الاخير فضل ترك مدينة خرسباد التي ابتناها ابوه سرجون و العودة الى مدينة نينوى واتخاذها عاصمة رسمية له ولخلفائه, وحتى سقوط الدولة الآشورية وزوالها ، لم تكن نينوى ارضا بكراً مثل خرسباد بل كانت واحدة من اقدم الاماكن المقدسة على ضفاف نهر دجلة. وتقاسمت الشبه في ارضها مع مدينتي آشور وكالح ,من جهة انها كانت موقعاً قديم للاستيطان ، ومن جهة اخرى ان سنحاريب عندما هجر خرسباد انتقل في اول الامر الى مدينة آشور ومن ثم الى مدينة نينوى وذلك في سنة 701 ق.م وشيد قصراً جديداً في الزاوية الجنوبية من مدينة نينوى (تل قوينجق حالياً) ، هذا القصر وصفه سنحاريب في كتابة مطولة بأنه (القصر الذي لا يضاهى) ([4]).

اختار الملك سنحاريب منطقة واسعة من شمال المدينة وايضاً من جنوبها لتهيئتها للبناء بعدما احاط المدينة الجديدة بسور حجري مغلف بحجر ذو شكل مربع منحوت ، وتخترق هذا السور بوابات ضخمة ذات ابراج مدعمة للحراسة بالاضافة الى ذلك كان نهر دجلة يوفر حماية اضافية للمدينة من الجهة الغربية , ولتدعيم ذلك شيدت بوابات مائية خاصة في ذلك الجانب ([5]).

تنقيبات المدينة:

وكيل القنصل الفرنسي في الموصل (بوتا) كان اول من نقب في شمال تل قوينجق وذلك في عام 1842م . ثم من بعده السير هنري لايارد وهرمز رسام ومن ثم لوفتس وسمث في اوقات مختلفة . وفي سنة 1904م نقب في المدينة ايل . دبليو كينك فاستطاع الكشف عن قصر سنحاريب شمال تل قوينجق ، اما قصر آشور بانيبال فيقع جنوب

التل حالياً ، ولا يظهر من هذا المواقع غير اقسام الحفر والخنادق التي تم العمل والتنقيب فيها والباقي من الآثار فقد دفنه المنقبون انفسهم مرة اخرى لعدم وجود امكانية حملها معهم وبسبب خوفهم من استيلاء الاعراب عليها ([6]).

كما نقب في نينوى طومبسون خلال عامي (1929 – 1931) . واستطاعت مديرية الآثار العامة عام 1941 من استظهار (بوابة نركال) وهي احدى بوابات المدينة واجريت لها ترميمات واعمال صيانة شاملة فأعادتها الى شكلها السابق ، اما السبب الذي جعل المنقبين يوجهون اهتمامهم الى تل قوينجق حصراً هو لعدم تمكنهم من الحفر والتنقيب في تل النبي يونس لوجود جامع النبي يونس فوقه اضافة الى وجود قرية نينوى المأهولة بالسكان عليه . واستطاع المنقبون الكشف عن الكثير من اطلال وبقايا مدينة نينوى القديمة منها بقايا قصر سنحاريب وقصر الملك آشور بانيبال ومعبد الاله نبو ، كما تم الكشف ايضاً عن ابنية اخرى لملوك الدولة الآشورية ، اما عن اللقى الآثرية فلا يمكن حصرها ، فقد كانت تتكون من تماثيل كبيرة وصغيرة والواح ومنحوتات ورقم طينية عدت بعشرات الألاف اضافة الى الاختام والحلي وادوات كثيرة تم نقل اعداد كبيرة منها الى المتحف البريطاني بالاضافة الى وجود مجاميع منها ضمتها قاعات المتحف العراقي ([7]).

طبوغرافية المدينة :

كان تخطيط مدينة نينوى ذو شكل مستطيل شبه منحرف ممتد على طول ضفة نهر دجلة الشرقية وتبرز منه قلعتان ذات طابع ملكي ,الاولى اطلق عليها (قوينجق) وهو اسم التلة الكبيرة في نينوى وتمثل القلعة الملكية المركزية التي ضمت القصور الملكية للملوك سنحاريب (705-681ق.م) و أشور بانيبال (668-631 ق.م) ومعبد عشتار ، والثانية فهي داخل السور ولكنها تقع الى الجهة الجنوبية من القلعة الاولى بمسافة قاربت الكيلو مترين تسمى اليوم (تل النبي يونس) وهذه القلعة ضمت قصر الملك آسرحدون (680-669 ق.م) وزقورة المدينة ، اما الدور السكنية فكانت ملتصقة بالقلعتين وضمن اسوار المدينة الحجرية ويكون الدخول اليها عبر بوابات المدينة المتعددة ومن جميع جهاتها ([8]).

بالرغم من ان سنحاريب يمكن ان يوصف بالقسوة تجاه مناوؤه الا ان انجازاته العمرانية تجعل منه معمارياً من الطراز الاول وبناءاً عظيماً والدليل على ذلك المنشآت العمرانية في ربوع الدولة الآشورية وعلى وجه الخصوص اعمار مدينة نينوى ،حيث حول سنحاريب مدينة نينوى من مجرد منزل ملكي الى عاصمة لدولة اخضعت اغلب بقاع الشرق الادنى القديم ، فقد عمل سنحاريب على زيادة مساحة المدينة وتحصيناتها والتوسع في حدودها ، فخلال فترة السنتين الاولى من حكمه ازداد محيطة المدينة من ميلين الى حوالي الثمانية اميال وزاد في سُمك سور المدينة الخارجي وارتفاعه وزود سورها الداخلي بخمسة عشر باباً تفضي الى كل الجهات, وتم توسيع ساحات المدينة الداخلية وعبدت شوارعها وطرقاتها بينما انتصب في القسم الشمالي من المدينة القصر الملكي القديم الذي هجره سكانه سابقاً فأكل نهر التبلتو اساساته فاصدر سنحاريب اوامره بتقويض هذا القصر المتداعي وبناء قصر ملكي جديد اقيم على مصطبة (دكة) بنيت على احد جوانب نهر التبلتو (احد روافد نهر دجلة) ([9]).

من الملاحظ ان سنحاريب كان قد دون انجازاته المعمارية واهتم بتدوين قراراته وقوانينه الخاصة بتطوير المدن منها عبارة اقتبست من احدى نصوصه العمرانية وهي تخص تطوير شوارع العاصمة نينوى وجعلها على استقامة واحدة والساحات المجاورة لبوابات المدينة بالاضافة الى العثور على مسلة في مدينة نينوى تذكر بأن الملك سنحاريب

قام بتوسيع احد الشوارع الضيقة في العاصمة وحوله الى طريق ملكي وتوعد بكل من يحاول تخريب هذا الشارع ، وحدد عرض هذا الشارع بـ 62 ذراع ، هذا الطريق الملكي ربط القلعة في المدينة بأحدى البوابات الرئيسية و هذا الباب ايضا قد تم اعادة اعمارها من قبل سنحاريب انذاك ، وكانت مجمل مساحة مدينة نينوى هو 1850 فدان و بذلك اعتبرت ثاني اكبر مدينة او عاصمة سياسية في العراق القديم بعد مدينة بابل ([10]).

الاسوار والبوابات :

كعادة ملوك الدولة الآشورية في البناء اقام سنحاريب سوراً ضخماً حول مدينة نينوى يقترب طول محيطه من ثمانية اميال ووزعت على جدرانه الضخمة خمسة عشر بوابة رئيسية ، وتشير التحريات الآثرية التي اجريت على بقايا سور نينوى على فخامة هذا السور وعرضه الكبير حيث يمكن ان تسير عليه سيارتين الواحدة بجانب الاخرى ، وجعل في هذه الاسوار تحصينات وابراج دفاعية ضخمة من الحجر لدرء اخطار الفيضان ايضاً ([11]).

بوابات سور نينوى الخمسة عشر توزعت حول المدينة ، فكانت سبعة بوابات منها تقع على الجهة الجنوبية وخمسة منها في الجهة الغربية اما الابواب الثلاثة الباقية فوضعت في الجهة الشمالية ، اما واجهة المدينة فقد بلغت مسافة الميلين ونصف الميل من جهة نهر دجلة وبلغ امتدادها من ناحية الشمال قرابة الثلاثة اميال ([12]).

يبلغ طول سور مدينة نينوى 5 كم واحتوى على ما مجموعه خمسة عشر بوابة كما اسلفنا القول ، وسميت كل باب من هذه الابواب بأسم احد الآلهة في آشور ففي الجهة الشرقية للسور نصبت ستة بوابات وهي :

1. باب خيلزي وهو من كبرى بوابات المدينة وتؤدي الى جسر حجري لعبور الضفة الغربية من نهر دجلة .
2. باب شمس
3. باب ننليل نسبة الى الآله ننليل احد آلهة آشور.
4. باب مشلال
5. باب شبانيبا نسبة الى مدينة شبانيبا واطلالها اليوم تسمى بـ تل بلا قرب مدينة بعشيقة .
6. باب خلاخي

اما شمال سور مدينة نينوى الذي بلغ طوله 2 كم تقريبا فقد احتوى على ثلاثة ابواب ابتداءاً من الجهة الشرقية وهي :

1. باب أدد
2. باب نركال
3. باب سِن

وفي القسم الغربي من سور المدينة الذي بلغ طوله 4 كم تقريباً فقد ضم خمسة بوابات بدءاً من الشمال الى الجنوب :

1. باب مادباري
2. باب ايكالمشارتي
3. باب حتذوري

الضلع الجنوبي من سور المدينة بلغ طوله 800 م احتوى باب واحد هو باب آشور نسبة الى موقع هذه البوابة المواجه للعاصمة الآشورية (آشور).

بوابة نركـــــــال :

استطاعت مؤسسة الآثار العراقية من العثور على موقع بوابة نركال واعادة بناء ها وترميمها استنادا الى موقع اساسات البوابة ، اما الواجهة فقد استعيرت من رسوم المهندس الفرنسي (فيكتور بلاس) الذي اجرى تحريات دقيقة وشاملة في خرسباد عام 1852م.

بنيت البوابة على ارتفاع 16.5 م على مصطبة من اللبن ترتفع هذه المصطبة عن السهل بخمسة امتار وبذلك يكون مجموع الارتفاع الكلي للبوابة 21.5 م ، وبلغ طول واجهة البوابة والتي تألفت من المدخل البالغ عرضه 7.82 م وبرجين على جانبي البوابة بارتفاع 20,70 م وقد اتخذ من البرجين قاعتان اعدتا لغرض عرض بعض النماذج من الآثار الآشورية ([13]).

قصر سنحاريب :

بعد اعتلاء سنحاريب العرش خلفاً لأبيه سرجون انتقل الى مدينة نينوى تاركاً مدينة خرسباد ، ففي عام 702 ق.م شرع سنحاريب ببناء قصر جديد له في نينوى الذي سمي فيما بعد بالقصر الجنوبي الغربي من قبل المنقبين ، والجديد في ما ابتدعه سنحاريب هو تشييده مجموعة من الحدائق بجانب قصره الملكي ووضع فيها حيوانات ونباتات غريبة تم جلبها من مختلف مناطق الدولة الآشورية واقاليمها ، كما ان المنشآت المائية التي اقامها سنحاريب مثيرة للأعجاب ، فقد واجه المهندسون في الدولة الآشورية تحديات كبيرة في بناء المدن خصوصاً عند تشييد العواصم الجديدة ، فلم تكن المدن في بلاد آشور مزودة بكميات كافية من المياه بسبب طبيعة مواقع المدن الجغرافية والتي غالبا ما يتم اختيار مواقع مرتفعة عن مستوى الاراضي المحيطة بها بالاضافة الى ذلك احتياج الاراضي الزراعية الى المياه لغرض السقي ، فأنشأ سنحاريب اربعة مشاريع اروائية لجلب المياه من المناطق الجبلية من الجهتين الشمالية والشمالية الشرقية القريبة من مدينة نينوى واقام مروج اصطناعية كثيفة في سرير النهر لحماية المدينة من اخطار الفيضان ، كما تم انجاز قنطرة كبرى قرب موقع شيروان استخدم في تشييدها اكثر من مليوني قطعة من الحجر الجيري وغطيت بخمسة قناطر بطول 280 م ([14]).

يعتبر قصر سنحاريب في مدينة نينوى من الاعمال الفريدة التي تنسب لملوك الدولة الآشورية الحديثة فقد شيد هذا القصر على تل قوينجق وعلى مساحة من الارض بلغت ثمانية اكرات وضم القصر ما بين سبعين الى ثمانين غرفة وصالة كبيرة ومجموعة كبيرة من الملاحق والمساكن الصغيرة ، وكانت ممراته وقاعاته الكبرى مزينة بالواح منحوتة تمثل حياة وانجازات سنحاريب ايام السلم والحرب فهذه المنحوتات اكتشفها السير هنري لايارد ولكن معظمها كانت قد تعرضت للكسر والتلف إلا ان لايارد تمكن من انقاذ بعض المجاميع من تلك المنحوتات وارسالها الى المتحف البريطاني في حينها ([15]).

نينوى في عصر الملك آشور بانيبال :

بعد اجراء اعمال التنقيبات في نينوى تم اكتشاف قصرين كبيرين في تل قوينجق الاول هو قصر سنحاريب يقع جنوب غربي التل والثاني في القسم الشمالي الشرقي من التل وهذا الاخير ينسب الى الملك آشور بانيبال.

القصر الشمالي (قصر آشور بانيبال) في عام 1854 م كشف هرمز رسام النقاب عن القصر الشمالي في نينوى واستطاع الكشف عن خمسة عشر غرفة من غرف هذا القصر التي زينت اغلب جدرانها بالمنحوتات البارزة ، استعمل في البناء مادة البرونز في تغليف ابواب القصر واستعمل البرونز كذلك في تغليف الاعمدة الموضوعة فوق عتبات بوابات القصر اضافة الى تخصيص جزءاً من مساحات القصر لزراعة حديقة ملكية شملت نباتات واشجار مختلفة الانواع وقد قامت مؤسسة الآثار والتراث العراقية بالكشف عن بعض اجزاء المصطبة التي شيد عليها آشور بانيبال قصره في تل قوينجق.

كان القصر مربع الشكل تقريباً ويحيط بالقصر جدار حجري ضخم غلف وجهه الخارجي بكتل من الاحجار المربعة الشكل ، وتخلل ذلك الجدار شبكة من الانابيب الفخارية التي استعملت لتصريف المياه الثقيلة وغطيت مخارج هذه الانابيب بقضبان حديدية.

عند مدخل القصر من البوابة الشرقية يلاحظ وجود قاعدتي اعمدة حجرية الغرض من وجودها هو اسناد سقف البوابة وعلى الجهة اليمنى توجد غرفة مربعة الشكل للحراسة احتوت على بوابة مدعومة جدرانها بأقواس من الحجارة الصلدة والى يسار بوابة القصر الغربية ويوجد ايضاً غرفتان متداخلتان صغيرتان من المحتمل انهما استعملا لأغراض الحراسة ايضاً.

بامتداد الجدار الشمالي الغربي غطى ممراً بلغ طوله 60 م متجهاً نحو الجنوب الشرقي اقيم على انقاض بقايا دهليز قديم يؤدي الى بوابة ومنها الى قاعة طويلة وضيقة الجانبين زينت جدرانها بمشاهد تمثل الحديقة الملكية ، بعدها يتجه الممر الى قاعة اخرى ضيقة غلفت جدرانها من الداخل بمنحوتات بارزة تمثل مشاهد صيد الاسود وقد عثر على هذه القاعة وهي مملوءة بالرقم الطينية ، وبالاتجاه نحو شرق الممر يعثر على قاعة ذات شكل مربع بلغت مساحتها 7.5 م وعلى جانبي بواباتها قاعدتا عمودين وهذه البوابة تؤدي ايضا الى ساحة طويلة ذات مساحة بلغت 24 م تفضي الى قاعدة كبيرة بلغت ابعاد مساحتها 43.5×7.5 م وهي قاعة العرش ولها ابواب ثلاث تطل على الساحة الخارجية للقصر الملكي ويوجد باب في الجدار الجنوبي لقاعة العرش تؤدي الى قاعة مربعة اطلق عليها قاعة Aribi لأنها زينت بمنحوتات جدارية صورت حوليات آشور بانيبال على قبائل Aribi بالاضافة الى جوار قاعة صيد الاسود وجود غرفة مربعة الشكل بلغت مساحتها 6 م سميت بغرفة سوسا لأن جدرانها زينت بمنحوتات تمثل حملات آشور بانيبال العسكرية على بلاد عيلام ([16]).

نهاية العاصمة نينوى :

في سنة 614 ق.م قام ملك الميديين كي اخسار بالهجوم على مدينة آشور واستطاع احتلالها مستغلاً سوء اوضاع الدولة الآشورية وفي الوقت نفسه ظلت مدينة نينوى صامدة رغم الظروف القاسية التي احاطت بها ، وفي عام 612 ق.م هاجم كي اخسار ومعه البابليون بقيادة نابوبلاصر مدينة نينوى وحين اصبحت جيوشهم على مشارف المدينة استنجد ملك آشور سن – شار – اشكن بالاسكوثيين على امل ان يقوم هؤلاء باشغال الجيش الميدي ريثما يستطيع ان يضرب الجيش الآشوري حصاراً على الجيش البابلي إلا ان الاسكوثيين انضموا الى الميديين بعدما اقنعهم كي اخسار بالغنائم والاسلاب.

دام حصار مدينة نينوى شهرين ونصف من بداية شهر حزيران الى منتصف شهر آب من سنة 612 ق.م وفي النهاية اقتحم المهاجمون المدينة فلم يجد الملك الآشوري امامه سوى الانتحار عندما القى بنفسه في النيران في الوقت الذي بدأ فيه المهاجمون بتدمير المدينة تدميراً شاملاً ([17]).

---

[1] آي. رويستن بايك – قصة الآثار الآشورية – ترجمة، يوسف داوود عبد القادر – جمعية المترجمين العراقيين – بغداد 1972 – ص 16
[2] كوركيس عواد ، يعقوب سركيس – اصول اسماء مدن وقرى عراقية – دار الوراق – لندن 2009 – ص 122
[3] د. حسين فهد حماد – موسوعة الآثار التاريخية – دار اسامه – عمان 2003 – ص 611 ، 612
[4] انطوان مورتكات – الفن في العراق القديم – ترجمة د.عيسى سلمان ، سليم طه التكريتي – وزارة الاعلام – بغداد 1975 – ص 413 ، 414
[5] نيكولاس بوستغيت – حضارة العراق وآثاره – ترجمة، سمير عبد الرحيم الجلبي – دار المأمون – بغداد 1991 – ص 116 ، 117
[6] دروثي مكاي – مدن العراق القديمة – ترجمة، يوسف يعقوب مسكوني – بغداد 1961 – ص 117
[7] كوركيس عواد ، يعقوب سركيس – المصدر السابق – ص 125
[8] د. مؤيد سعيد واخرون – حضارة العراق – ج3 – دار الحرية – بغداد 1985 – ص 331 ، 332
[9] جورج رو – العراق القديم – ترجمة، حسين علوان حسين – دار الشؤون الثقافية – بغداد 1986 – ص 431 ، 432
[10] ليو اوبنهايم – بلاد ما بين النهرين – ترجمة، سعدي فيضي عبد الرزاق – وزارة الثقافة والاعلام – بغداد 1981 – ص 169 ، 170
[11] هاري ساكز – قوة آشور – ترجمة، د. عامر سليمان – منشورات المجمع العلمي العراقي – بغداد 1999 – ص 144
[12] دروثي مكاي – المصدر السابق – ص 117 ، 118
[13] شريف يوسف – تاريخ فن العمارة العراقية في مختلف العصور – دار الرشيد للنشر – بغداد 1982 – ص 141 ، 143
[14] إيفا كانجيك ، كير شباوم – تاريخ الآشوريين القديم – ترجمة، د. فاروق اسماعيل – دار الزمان – دمشق 2008 – ص 78 ، 80
[15] دروثي مكاي – المصدر السابق – ص 116
[16] د. رياض عبد الرحمن امين الدوري – آشور بانيبال سيرته ومنجزاته – دار الشؤون الثقافية – بغداد 2001 – ص 149 ، 153
[17] آي . رويستن بايك – المصدر السابق – ص 133 ، 134

م.د. محمد سياب محان
كلية الآداب – قسم الاثار
جامعة القادسية